:الدكتور ماثيو س .هارمون، رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبي
،افرحوا بإنجيل يسوع المسيح
،الجلسة 13 :كفاية الله لجميع احتياجاتنا - فيلبي 4 :10-23

بقلم تيد هيلدبراندت، BiblicaleLearning.org موقع

هذا الدكتور ماثيو س .هارمون يُلقي محاضرته ضمن سلسلة دروس رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبي، بعنوان "افرحوا بإنجيل يسوع المسيح ."هذه هي الجلسة الثالثة عشرة، بعنوان "كفاية الله لجميع احتياجاتنا) ."فيلبي 4 :10-23(.

.أهلاً بكم في الجلسة الثالثة عشرة من دراستنا لرسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبي، بعنوان :كفاية الله لجميع احتياجاتنا .وهذه هي جلستنا الأخيرة في هذه الدراسة .سنتناول فيها الإصحاح الرابع، من الآية العاشرة إلى الآية الثالثة والعشرين.

قبل أن نتناول هذا الجزء، يجدر بنا أن نتذكر ما ورد في الجزء السابق، الإصحاح الرابع، من الآية الرابعة إلى التاسعة، وهي سلسلة من المواعظ الختامية في الإنجيل .يقدم بولس سلسلة متلاحقة من التوجيهات حول كيفية تطبيق الإنجيل في حياتنا اليومية، متناولًا قضايا مثل الصلاة والقلق والفرح، وكيف نركز أذهاننا على أمور معينة، وكيف نطبق ما نجده في .الإنجيل .هذا يمهد لما نجده هنا في نهاية الرسالة، في الإصحاح الرابع، من الآية العاشرة إلى الثالثة والعشرين

قبل قراءة النص، أردتُ تسليط الضوء على بعض جوانب بنيته وبعض أوجه التشابه مع ما ورد سابقًا في رسالة بولس إلى أهل فيلبي .فبنية الإصحاح الرابع، من الآية العاشرة إلى الآية العشرين، تقوم على فكرة سلسلة من الإقرار والتوضيح ثم .التوضيح .لذا، ستلاحظ هذا النمط مرتين

اعترافًا بذلك، أعاد أهل فيلبي إحياء اهتمامهم ببولس .وتفسيرًا لذلك، فإنّ انقطاع العطاء كان نابعًا من قلة الفرص، لا .من قلة الاهتمام .ثمّ يأتي التوضيح :بولس لا يتحدث بدافع الحاجة لأنه راضٍ

ثم يأتي التقدير التالي :لقد كان أهل فيلبي كرماءً في مساندة بولس في محنته .والتوضيح أن أهل فيلبي لهم تاريخ طويل في .فعل ذلك .ملاحظة :لم يكن بولس يسعى وراء العطاء نفسه، بل وراء ما يمثله

ثمّ يأتي الإقرار الختامي :بولس يفيض بعطاء أهل فيلبي، وهو ما يُرضي الله .التفسير :سيرزق الله أهل فيلبي .وبدلاً من أيّ .قيد، ينتهي هذا الجزء الأخير بتمجيدٍ لله، حيث ينال كلّ المجد إلى الأبد

وهذا هو النمط الذي يظهر في الآيات من ١٠ إلى ٢٠ .ومن المفيد أن نضع ذلك في اعتبارنا أثناء دراستنا للنص .وقبل أن نقرأ النص، تجدر الإشارة إلى وجود بعض أوجه التشابه في هذا الجزء، أي بين الفصل الرابع، الآيات من ١٠ إلى ٢٠، وبين .رسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبي، الآيات من ٩ إلى ١١

إذن، نلاحظ بعض التداخل في المفردات هنا، أليس كذلك؟ في رسالة بولس إلى أهل فيلبي ١ :٩-١١، يتحدث بولس عن ازدياد محبتهم يومًا بعد يوم .وهنا في رسالة بولس إلى أهل فيلبي ٤، يتحدث بولس عن معرفته كيف يتواضع وكيف .يفيض قلبه .ثم يتحدث أيضًا عن الوفرة في الآية ١٢

يذكر بولس في رسالته إلى أهل فيلبي ١ :١١ أن يمتلئوا بثمر البر .وهنا في فيلبي ٤ :١٧ و١٨، يتحدث عن السعي وراء .الثمر الذي يزيد من رصيدكم .ثم يذكر أنه قد اكتفى، أي أنه قد امتلأ، بعد أن تلقى من أبفروديتس الهدايا التي أرسلها

،وأخيرًا، في الفصل الأول، الآية ١١، تختتم الصلاة بعبارة" :لمجد الله وتسبيحه ."ثم يختتم الفصل الرابع، الآية ٢٠ ."بعبارة" :لله أبينا المجد إلى أبد الآبدين .آمين

،يساعدنا هذا على فهم بعض البنية العامة لرسالة بولس إلى أهل فيلبي .وبذلك، نكون مستعدين لقراءة الإصحاح الرابع بدءًا من الآية العاشرة وحتى نهاية الرسالة في الآية الثالثة والعشرين .تبدأ الآية العاشرة بالقول» :فرحتُ في الرب فرحًا .«عظيمًا لأنكم أخيرًا قد عدتم للاهتمام بي

لقد كنتَ قلقًا عليّ حقًا، لكن لم تُتح لك الفرصة .لا أقصد هنا أن تكون في داخلي، فقد تعلمتُ أن أكون راضيًا في أي ظرفٍ كنتُ فيه .أعرف كيف أكون متسامحًا، متواضعًا، وأعرف كيف أتقبّل كل الظروف.

لقد تعلمت سر مواجهة الوفرة والجوع، والغنى والحاجة .أستطيع كل شيء بالمسيح الذي يقوي الإيمان .ومع ذلك، كان من لطفك أن تشاركني همومي.

وأنتم يا أهل فيلبي تعلمون أنكم في بداية بشارة الإنجيل، حين غادرتُ مقدونيا، لم تشاركني أي كنيسة في العطاء والأخذ إلا أنتم وحدكم .حتى في تسالونيكي، أرسلتم لي العون لركبتي مرارًا وتكرارًا .ليس لأني أطلب العطاء، بل أطلب الثمر الذي ينمو لمصلحتكم.

لقد استلمتُ كامل المبلغ وأكثر .أنا مُكتفٍ تمامًا، إذ تلقيتُ من إيبافروديتوس الهدايا التي أرسلتموها، قربانًا طيب الرائحة، ذبيحةً مقبولةً ومرضيةً عند الله .وسيكفي إلهي كل احتياجاتكم بحسب غناه في المجد في المسيح يسوع.

لله الآب والمجد إلى الأبد .آمين .سلموا على كل قديس في المسيح يسوع.

يُسلّم عليكم إخوتي الذين معي .يُسلّم عليكم جميع القديسين، ولا سيما أهل بيت قيصر .لتكن نعمة الرب يسوع المسيح مع روحكم.

لذا، عنونتُ هذا القسم بـ"كفاية الله لجميع احتياجاتنا ."سينصبّ التركيز الرئيسي على الآيات من 10 إلى 20، لكننا سنتحدث أيضًا عن التحيات الختامية في الإصحاح الرابع، من الآية 21 إلى 23 .وهكذا يبدأ بولس رسالته مجددًا، كما هو متوقع، بقوله" :فرحتُ بالرب".

تذكرون في الإصحاح الرابع، الآية الرابعة، حين أصدر بولس الوصية » :افرحوا في الرب دائمًا .«وها هو الآن في الآية العاشرة، يجسد ذلك بقوله» :فرحت في الرب فرحًا عظيمًا .«إذن، سبب فرح بولس هنا هو اهتمام أهل فيلبي المتجدد به وبخدمته.

ويحرص بولس على توضيح أن المشكلة لم تكن في أهل فيلبي ، بل في قلة الفرص المتاحة لهم للعطاء المالي .لذا، لم يكن أهل فيلبي غير مكترثين ببولس، بل لم تكن لديهم فرص محددة لتقديم الدعم المالي .وهذا جزء مثير للاهتمام يقدمه لنا بولس هنا، إذ وصفه البعض، عند قراءتهم له، بأنه شكرٌ غير مُقدَّر.

وهو، بمعنى ما، يقول :شكرًا على الهدية .ومع ذلك، يستمر في التحفظ؛ يستمر في قول :أنا ممتن، ومع ذلك، ثم يوضح . أو يقيد ذلك .لذا فهي طريقة شكر غير معتادة

لكن الأمر لا يعني أنه يفتقر إلى الامتنان .سأحاول لاحقًا شرح سبب اعتقادي بأن بولس يضع هذه الشروط ويحاول توضيح امتنانه وتفاعل أهل فيلبي معه .لقد جددوا اهتمامهم به؛ فأرسلوا إليه هدية عن طريق أبفروديتس، ويتحدث في نهاية الآية ١١ عن تعلم القناعة في أي ظرف.

لذا علينا أن نتأمل في طبيعة القناعة المقصودة هنا .ماذا يقصد بولس بذلك؟ أرى أن القناعة هي الرضا بكل ما أنعم الله به علينا، وهي نقيض الطمع.

وهكذا، يصبح الرضا حالةً مستقرةً من الاكتفاء والثقة بما رزقنا الله به، بدلاً من الحسد والطمع الدائمين فيما قد يملكه الآخرون .ويرى بولس أن الرضا ينبع من هذه الثقة العميقة والدائمة في كرم الله ورحمته وعطائه .فإذا كان رضاؤنا متجذراً في ظروفنا، سواءً أكان لدينا الكثير أم لا، فسنجد أنفسنا نركب قطاراً متقلباً لا نهاية له.

يبدو أن بولس يُعيد تعريف هذا المفهوم العلماني للاكتفاء الذاتي ليُصبح مفهومًا مسيحيًا للاكتفاء بالله .لذا، فإن المصطلح الذي يستخدمه بولس هنا كان معروفًا في العالم القديم، بل واستُخدم في بعض الأوساط الفلسفية لوصف الشخص المكتفي بذاته، أي الذي لا يحتاج إلى شيء من أحد.

وقد اعتبر البعض ذلك هدفاً، شيئاً يُسعى لتحقيقه .وإن كنا صادقين، نرى ذلك في ثقافتنا اليوم، في كثير من الأحيان. فنحن نعتقد أن الغاية القصوى في الحياة هي الاكتفاء الذاتي وعدم الحاجة إلى مساعدة أحد في أي وقت.

وبالطبع، هناك نوع جيد من الاكتفاء الذاتي .نريد من الناس أن يتحملوا المسؤولية الشخصية بقدر ما يستطيعون تلبية احتياجاتهم وما شابه .لكن من الوهم، في الحقيقة، أن نكون مكتفين ذاتيًا تمامًا ولا نحتاج إلى الآخرين في حياتنا.

لننتقل الآن إلى موضوع القناعة، وأعتقد أن التأكيد هنا يُبرز أن رجاء بولس لا يكمن في كرم الآخرين، بل في الذي يُقوّيني. هذا ما يقوله بولس في الآية ١٣» :أستطيع كل شيء بالمسيح الذي يُقوّيني .«وعدم اعتماده على قناعتي مرهونٌ بما إذا كان أهل فيلبي أو أي كنيسة أخرى سيُلبّون احتياجات خدمتي أو احتياجاتي الشخصية.

ليس هذا ما يحفز بولس ويدفعه .رضاه ينبع من الرب، لأن الرب قادر على أن يقويه ليعيش في الرخاء والحاجة على حد سواء .وأعتقد أن هذه نقطة يجب التأكيد عليها هنا لأنها تساعد في تفسير ما قد نراه غريباً في هذا الشكر الذي لا يُشكر فيه.

أعتقد أن ما يحاول بولس فعله هنا هو تجنب بعض دلالات علاقة الراعي والزبون في العالم اليوناني الروماني .ففي ذلك العصر، كان مفهوم الرعاة والزبون يتمثل في شيوع لجوء الفقراء إلى من هم أكثر ثراءً ونفوذاً، ولذلك عُرف هؤلاء الأثرياء بالرعاة.

وفي أحد نماذج هذا النظام، كان العميل يزور الراعي صباحًا، وكان يُتوقع من العميل أن يُشيد بفضائل الراعي وكرمه .ثم يُقدم الراعي المساعدة، ولو بشكل جزئي، لتلبية حاجة لدى العميل.

وماذا سيجني الراعي من ذلك؟ الشرف والمكانة .فكلما زاد عدد عملائك، ارتفع شأنك ومكانتك في سياقهم الثقافي .ولكن ما يترتب على ذلك -وهذا صحيح في أغلب الأحيان- هو أنه عندما يُقدّم شخص ما مالاً أو موارد لشخص آخر، قد يكون هناك توقع بأن يكون للمُعطي، في هذه الحالة الراعي، الحق في تحديد شروط استخدام تلك الموارد أو المال.

وهناك توقع بأن ينفذ العميل ما يريده الراعي .لذا، ثمة ديناميكية قوة كانت شائعة .وأعتقد أن ما يحاول بول فعله هنا، من خلال شرحه لرد فعله على هديتهم، هو محاولة إعادة تعريف علاقتهما.

ولا أعتقد أن بولس يقصد أن أهل فيلبي يفكرون بهذه الطريقة، بل يحاول التأكد من أنهم لا يفكرون كذلك .فمجرد أن أهل فيلبي قدموا له موارد وهدية لا يعني أنهم هم الراعي وبولس هو المتلقي .ولا يعني أن بولس ملزم الآن تجاه أهل فيلبي بتنفيذ ما يريدونه تحديدًا.

أودّ التأكيد الآن على أنه لا يوجد ما يشير إلى أن أهل فيلبي كانوا يفكرون بهذه الطريقة .ولكن يجب أن نتذكر أن هذا هو السياق الثقافي الذي كانت تُقدّم فيه الهدايا في كثير من الأحيان .ولذا يحاول بولس مساعدتهم على إعادة تعريف وفهم طبيعة علاقتنا.

وفي نهاية المطاف، ما يُساعدهم بولس على إدراكه هو أن الأمر لا يتعلق بأن أهل فيلبي هم الراعي وبولس هو التابع، بل إن الله هو الراعي، وأن بولس وأهل فيلبي كلاهما تابعون له .وأنهم يتشاركون الموارد معًا تحت رعاية الله وسلطانه.

إذن، هو يحاول مساعدتهم على فهم أن الإنجيل يُعيد تشكيل فهمنا لكيفية عمل هذه الأنواع من الترتيبات المالية في العالم القديم .لذا أعتقد أن هذا يُساعد في تفسير نمط الإقرار والشرح والتوضيح الذي يتبعه في هذا الجزء تحديدًا . الآن، أريد التركيز على كلمتين أساسيتين هنا، وهما :التطرف في هذا الأمر

" يتحدث بولس عن كيف تعلم سرّ التواضع وكيف يصبح المرء غنياً .لذا، يمكن ترجمة مصطلح "التواضع "هنا إلى الحاجة "أو "العيش على القليل جداً"، كما ورد في الترجمة الإنجليزية الجديدة .أعتقد أن هذا يعبّر عن المعنى المقصود.

لكن هذا الجزء من نفس عائلة الكلمات هو المرتبط بفكرة التواضع في الإصحاح الثاني، الآية الثالثة والثامنة، والإصحاح الثالث، الآية الحادية والعشرين .وهنا تحديدًا تكمن صعوبة إبراز بعض هذه الروابط بين الكلمات المتشابهة في الترجمة الإنجليزية، لعدم وجود تطابق تام بين اليونانية والإنجليزية .لذا، من المفيد استخدام اللغات الأصلية لتوضيح بعض هذه الروابط.

لكن الفكرة الأساسية، في رأيي، هي أنه يستخدم هذه اللغة عن قصد ليربطها فكريًا بما تحدث عنه في الفصل الثاني حول ،التواضع أو العيش في حالة من الخضوع .وأعتقد أن هذه هي النقطة التي يحاول إيصالها، وهي أنه قد تعلم، كما يسميها .السر .ومن المثير للاهتمام كيف استُخدم هذا المصطلح

،في العالم القديم، استُخدم هذا المصطلح للإشارة إلى الديانات السرية .أما الآن، فإذا لم تكن على دراية بالديانات السرية فهي مجموعة من الديانات المختلفة التي اتسمت بالسرية الشديدة، حيث كانت هناك طقوس خاصة يخضع لها المرء .للانضمام إليها

وقد عملوا أحيانًا على هامش التيار السائد، بعيدًا عن الآلهة التقليدية .وكثيرًا ما استُخدم مصطلح "سري "في سياق .طقوس الانضمام إلى هذه الديانات الغامضة .لذا، فإن بولس لا يستخدمه بالضرورة بهذا المعنى

لكن ما يقوله هو :انظروا، إن مفتاح أو مدخل هذا الرضا هو، كما يقول هنا في الآية ١٢، أنني أعرف كيف أُذلّ .أعرف .كيف أعيش في وفرة في كل الظروف .لقد تعلمت سرّ مواجهة الوفرة والجوع، والغنى والحاجة

ثمّ تأتي الآية ١٣ لتُقدّم لنا السرّ .هذا هو مفتاح العيش بطريقة لا تعتمد على الوفرة أو العوز .يقول :أستطيع كلّ شيء .بالمسيح الذي يُقوّيني

،لذا، نحتاج إلى التعمق أكثر في فهم ما يقصده بولس في الآية ١٣ .أعتقد أنه من المهم التفكير في هذا الأمر بعناية أكبر لأن هذه الآية شائعة الاستخدام في ثقافتنا، وأعتقد أنهم غالبًا ما يسيئون فهمها ، إذ يُنظر إليها على أنها تعني "بإمكاني ."فعل أي شيء

لكن إن عزمتُ على شيءٍ ما، واستعنتُ بالمسيح ليقوّيني، فأنا قادرٌ على إنجاز أيّ مهمة .وربما هذا رأيي الشخصي، لكنني ألاحظ هذا الأمر كثيراً، ربما في المجال الرياضي، حيث نرى الرياضيين يكتبون آية فيلبي 4:13 على أحذيتهم الرياضية أو .على رموشهم أو ما شابه .إنها طريقتهم للتعبير عن قدرتهم على فعل أيّ شيء بفضل المسيح الذي يقوّيهم

ولا أقصد التقليل من صدق إيمانهم أو إخلاصهم في عبادتهم للرب، لكنني أعتقد أنهم ربما يغفلون جوهر ما يقوله بولس هنا .فالأمر لا يتعلق بالتركيز على التفكير الإيجابي فحسب، بل بثقة عميقة ودائمة، ثقة في قدرة المسيح وعطائه لتلبية .جميع احتياجاتنا

ليس بالضرورة رغباتنا، ولا بالضرورة أهوائنا، بل احتياجاتنا .ولذا أعتقد أنه من المهم تذكر السياق الذي قد يُفهم منه هذا المعنى حرفيًا، وهو "في الذي يقويني ."فبدلًا من أن يُقال، بدلًا من أن يُقرأ النص "أستطيع كل شيء بالمسيح .الذي يقويني"، وهي ترجمة ممكنة بالتأكيد

ويمكن ترجمتها أيضًا إلى :أستطيع كل شيء بالمسيح الذي يقويني .وإذا كان الأمر كذلك، فإن المغزى هو أننا، إذ نعيش في كنف المسيح، نستطيع أن نفعل كل شيء، بدءًا من العيش في وفرة وصولًا إلى العيش في المسيح .ولذا أعتقد أن هذا هو .السياق الأوسع لرسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبي، الإصحاح الرابع، الآية ١٣

والآن، ونحن ننتقل إلى الآية ١٤، يتأمل بولس في علاقته بكنيسة فيلبي، مشيرًا إلى تفرد أهلها .يقول في الآية ١٥» :أنتم يا أهل فيلبي تعلمون أنه في بداية التبشير، حين غادرت مقدونيا، لم تدخل معي أي كنيسة في العطاء والأخذ إلا أنتم .«وحدكم

في عام ١٦، حتى في تسالونيكي، أرسلتم لي العون مرارًا وتكرارًا .لذا كانت تسالونيكي هي المحطة التالية بعد مغادرة بولس .في فيلبي .فعندما طُرد من فيلبي، انتهى به المطاف في تسالونيكي

لذا، عندما يقول هنا، في الآية ١٦، حتى في تسالونيكي، أرسلتم لي عونًا لحاجاتي مرارًا وتكرارًا، يُظهر ذلك مدى سرعة انخراط أهل فيلبي في شراكة سخية مع بولس لمساعدته في إعلان الإنجيل منذ البداية .وهذا أحد الأسباب التي تجعلني .أعتقد أن كنيسة فيلبي كانت تحتل مكانة خاصة في قلب بولس

بولس، كقاعدة عامة ، حذرًا جدًا بشأن قبول الدعم المالي .ويرجع ذلك جزئيًا إلى طبيعة العلاقة بين الراعي والمتلقي في الثقافة اليونانية والرومانية، حيث كان يحرص على تجنب الظهور بمظهر المتلقي .والسبب الثاني الذي أود ذكره هو أن هذه الظاهرة كانت شائعة نسبيًا بين هؤلاء المعلمين المتجولين في العالم القديم.

ثم يأتون إلى المدينة، ويحشدون حشودًا غفيرة، ويقدمون لهم عروضًا، ويعلّمونهم، فيتبرع لهم الناس بالمال .وعندما بدأ التبرع ينضب، وتوقف الناس عن العطاء، انتقلوا إلى المدينة التالية .وكان بولس يريد تجنب أي صلة بهذا الأمر.

أراد أن يوضح أن هذه ليست شخصيتي، وليست هذه مبادئي .ولذلك كان مترددًا جدًا في قبول الهدايا المالية لأنه أراد التأكد من صحة الدوافع، وأن سبب تلقيه لها لم يُساء فهمه .لذا، أعتقد أن هذا يساعدنا على فهم ما يبدو طريقة غريبة جدًا للتعبير عن الشكر.

، في ثقافتنا، نتوقع من أي شخص أن يقول :شكرًا لك على إرسال المال أو الطعام الذي يساعدني .أنا ممتن لك جدًا وأدعو لك .إذا كان هناك أي شيء يمكنني الدعاء لك به أكثر، فأخبرني من فضلك.

مع حبي، مات .لكن هذا ما نفعله .هكذا تسير الأمور في ثقافتنا.

ومع ذلك، لم تكن الأمور تسير على هذا النحو تمامًا في العالم القديم .ولذلك، كان بولس يتعامل مع هذا الأمر بحذر. لذا، كان أهل فيلبي كرماء منذ البداية، وكانوا يُعطون بولس بسخاء.

ومرة أخرى، نرى لغة الشراكة أو الزمالة هذه في الآية 15 عندما كتب » :لم تدخل كنيسة في شراكة .«وهي نفس الكلمة اليونانية، كوينونيا، وتعني الزمالة معي في العطاء والأخذ إلا أنتم وحدكم .هذا ملخص لعلاقته مع أهل فيلبي.

والآن سينتقل للحديث عن هدفه .ما هو هدف بولس من نيل هذه العطية؟ يوضح ذلك جليًا في الآية ١٧» :ليس أنني أطلب العطية، بل أطلب الثمر الذي يزيد لمصلحتكم .«إنه يقول إن أولويتي القصوى ليست مجرد نيل العطية.

أريد أن أرى الفائدة الروحية التي ستجنيها من ذلك .أتوقع كيف سيباركك الله من خلال عطائك لي .لكن عليّ أن أكون حذرًا جدًا عندما نقول مثل هذه الأمور في سياقنا، لأن هناك معلمين ضالين يحرفون نصوصًا كهذه.

وسنقول أشياء من قبيل :إذا أردت أن يباركك الله، فعليك أن تتبرع بهذا المبلغ الكبير من المال لخدمتي أو لكنيستي. . وهذا ليس ما يقصده بولس هنا .إنه يقول ببساطة :أنا ممتن لهذه النعمة

أنا أكثر حماسًا للفائدة الروحية التي سيُحققها الله من خلال هذا في حياتك .والهدف الثاني الذي حدده هو فرحهم. يقول" :لا أسعى إلى العطية، بل أسعى إلى الثمرة التي تثمر لكم".

لقد استلمتُ كامل المبلغ وأكثر .أنا مُكتفٍ تمامًا، فقد تلقيتُ من إيبافروديتس الهدايا التي أرسلتموها، وهي قربانٌ ذو رائحةٍ طيبة، وذبيحةٌ مقبولةٌ ومرضيةٌ عند الله .لذا فهو يُريد أن يرى أهل فيلبي يفرحون بمواصلة شراكتهم معه في نشر الإنجيل.

ولاحظوا في الآية التي قرأتها، الآية ١٨، أن بولس يستخدم لغة التضحية في وصف هذه الهدية .يقول إن الهدايا التي أرسلتموها هي قربان طيب الرائحة، ذبيحة مقبولة ومرضية عند الله .والآن، إليكم ما أريدكم أن تنتبهوا إليه.

تحدثنا سابقًا عن ديناميكية علاقة الراعي بالعميل، وكيف يحاول بولس مساعدة أهل فيلبي على تغيير نظرتهم إليها .لذا ذكرتُ أن بولس وأهل فيلبي كلاهما عملاء لله، الراعي .هكذا سيعيد بولس صياغة الأمر.

لكن إليكم الصورة .هو يقول إنه بدلاً من أن يفكر أهل فيلبي في الأمر على أنهم أعطوا بولس مباشرةً، فإن بولس يقول: أنتم يا أهل فيلبي، في الواقع أعطيتم هذا لله، ثم أعطاه الله لي .وهو بذلك يحاول إعادة صياغة الأمر، بحيث لا يكون مجرد تبادل أفقي حيث قال أهل فيلبي :حسنًا، لدينا هذه الموارد.

نريد أن نكون عونًا لك .فلنرسلها إليك .إنه يقول إن هذا كان عملًا من أعمال العبادة، وأن هذا العطاء كان عملًا من أعمال عبادة الرب استخدمه الله لتلبية احتياجات بولس.

وأود أن أشير إلى أن هذا هو بالضبط ما يحدث عندما نتبرع لكنائسنا المحلية :يمكننا أن نفكر في الأمر على أنه :حسنًا، أنا أتبرع للكنيسة .وهذا صحيح من وجهة نظر معينة، ولكن في نهاية المطاف، تبرعنا هو للرب، الذي يوجه كنيسته لاستخدام هذه الموارد في نشر الإنجيل، وفي خدمة رسالة الكنيسة .لذا، عندما نتبرع لكنيسة محلية، ينبغي أن نفكر في الأمر على أنه :أنا أتبرع بهذا المال لله ، وهو يوجه هذا المال للكنيسة لاستخدامه في تحقيق مقاصده.

ثم لاحظ أنه يختتم حديثه بالتأكيد على كفاية الله، أليس كذلك؟ يقول في الآية ١٩ » :إلهي سيكفيكم كل احتياجاتكم بحسب غناه في المجد في المسيح يسوع .«فمصدر كرمنا الحقيقي هو غنى الله .وهذا لا يتحقق إلا إذا أدركنا أن كل ما نملكه هو في النهاية ملك لله، وأننا قاصرون.

لذا، من الخطأ التفكير بأننا نملك هذه الموارد، وكل ما يطلبه الله هو 10 %منها .هو ببساطة يطلب منا" :يمكنكم الاحتفاظ بـ 90%، أريد 10 %فقط، من فضلكم".

هذا كل ما أريده .لكن هذه ليست الطريقة التي يجب أن نفكر بها في مواردنا .الحقيقة هي أن الله يقول :هذه هباتي ومواردي لكم، وأنتم وكلاء عليها.

ولا نستخدم هذا المصطلح كثيرًا في سياقنا اليوم، لكن الوصي هو الشخص الذي يدير ممتلكات شخص آخر .أتذكر عندما كان أطفالي صغارًا، كان لدينا بعض الأصدقاء الذين ذهبوا في إجازة وكانوا بحاجة إلى من يعتني بأسماكهم. فأحضروا حوض السمك ، وكنا مسؤولين عن إطعامه وتنظيف الماء وكل ما يتعلق بذلك.

،كان أطفالي صغارًا جدًا في ذلك الوقت .ربما كانوا في الخامسة والثانية، أو السادسة والثالثة، على الأرجح .وأتذكر فقط بصفتي الأب، أنني كنت مرعوبًا من أن تموت تلك السمكة بينما أصدقائي في إجازة.

وكنت أراقب الوضع عن كثب، وأحاول تشجيع أولادي بلطف، قائلاً :حسناً، حان وقت إطعام السمك .هل أطعمتم السمك اليوم؟ هل فعلتم؟ أوه، لقد مرّت بضعة أيام .علينا تغيير الماء، ويجب أن نفعل ذلك بحرص شديد حتى لا يقتلوا السمك، فهو ليس سمكنا.

إنهم أصدقاؤنا .وسنضطر إلى تقديم تفسير لهم عندما يعودون .سيتوقعون، حسناً، أن نرى أسماكنا.

كيف حاله ؟ وإذا كان يطفو على السطح بلا حراك، مقلوبًا رأسًا على عقب، فسيكون هذا حديثًا محرجًا .أنا آسف .بينما كنت تستمتع بإجازتك، لم ينجُ سمكك.

لذا، قد يبدو هذا مثالاً بسيطاً، ولكنه يجسد الشعور بالمسؤولية :عليّ أن أعتني بهذا .إنه ليس ملكي .وسأُسأل أمام المالك عن كيفية رعايتي له.

ينطبق هذا على مواردنا .ينطبق هذا على دخلك، ومنزلك، وعلى أشياء قد لا نفكر فيها بشكل طبيعي مثل وقتك .وقتنا هبة من الله كمورد.

لذا، عندما نتحدث أحيانًا عن الكرم، قد يظن من لا يملكون الكثير من المال أنهم لا يملكون الكثير ليقدموه، وبالتالي لا ينطبق عليهم هذا الكلام .لكن هذا الكلام ينطبق فعلاً على من يملكون ثروة أو موارد وفيرة يمكنهم التبرع بها.

والحقيقة أن كل ما نملكه هو من عند الله .لذا، فإن وقتنا وطاقتنا وكل ما نملكه هي موارد من الله مُنحت لنا لنكون بركة للآخرين .وعندما نُدرك أن كل ما نملكه هو من عند الله، وأننا وكلاء عليه أن نستخدمه بما يُرضيه، فإن ذلك يُطلق العنان لمستويات من الكرم تجاه الآخرين، ما يُشكل بركة حقيقية لهم ولنا أيضاً.

إذن، هذا هو المكان الذي يختتم فيه بولس حديثه، إن صح التعبير، في هذا المقطع .ولاحظ أن التعبير النهائي هنا هو تمجيد .صحيح.

الآية ٢٢ :إلهنا وأبونا له المجد إلى الأبد .آمين .وهكذا يبقى التركيز على الله ومجده الذي يتجلى من خلال كرم أهل فيلبي.

وهذا يقودنا إلى التحية الختامية، الآيات من الحادية والعشرين إلى الثالثة والعشرين .ومرة أخرى، قد نميل أحيانًا إلى التغاضي عنها لأنها تبدو أقل أهمية أو عمقًا .ومع ذلك، فهي تحمل في طياتها أمورًا تستحق التأمل.

أولاً، يركز على تحيات المؤمنين الآخرين .وهذه نقطة دقيقة، لكنها بالغة الأهمية .فهي تؤكد على عالمية الكنيسة.

من أعظم بركات السفر وزيارة مختلف أنحاء العالم، ومختلف مناطق البلاد، لقاء إخوة مسيحيين لم تلتقِ بهم من قبل. فعندما تدخل كنيسة، أو تجد نفسك في مكان قريب منهم، تنشأ بينكم رابطة فورية بفضل ثقتكم المشتركة بيسوع.

وقد يتبادر إلى أذهاننا، كما تعلمون، أنه في العالم القديم، كانت هناك كنائس منعزلة منتشرة في أنحاء العالم .وكان هناك في الواقع تفاعل كبير بين هذه الكنائس، حيث كان الناس يسافرون من مكان إلى آخر.

كانوا يبحثون عن إخوانهم المؤمنين وينقلون إليهم أخبار انتشار الإنجيل .ولذا يبدأ بولس رسالته قائلاً" :سلّموا على كل قديس في المسيح يسوع .الإخوة الذين معي يسلمون عليكم".

ثم في الآية 22، يُسلّم عليكم جميع القديسين، ولا سيما أهل بيت قيصر .وكان مصطلح "بيت قيصر "يُستخدم للإشارة إلى جميع العاملين في الجهاز البيروقراطي للإمبراطورية الرومانية .فالذين يعملون لدى الإمبراطور الروماني يُرسلون تحياتهم.

وهذا يُذكّرنا مجدداً، كما ورد في الفصل الأول، كيف ينتشر الإنجيل في مناطق ربما كان الوصول إليها صعباً لولا المكانة التي وصل إليها بولس .لذا، تُمهّد هذه التحيات الختامية الطريق لكلمات بولس الأخيرة في الآية ٢٣.

لتكن نعمة الرب يسوع المسيح مع روحك .وكما تتذكرون، هكذا بدأت الرسالة .مباشرةً بعد أن عرّف بنفسه، ثم عرّف بنفسه ، ثم أشار إلى أهل فيلبي.

كيف يحييهم؟ نعمة لكم وسلام .ويختتم رسالته هذه بعبارة :نعمة الرب يسوع المسيح مع أرواحكم .وهذه ليست عبارة عابرة.

هذه طريقة للتأكيد على أن محتوى الرسالة برمته يندرج ضمن إطار نعمة الله .وهذه سمة شائعة في رسائل بولس، إذ يذكر النعمة في البداية، ثم يذكرها في النهاية.

وحتى عندما يقول أشياءً صعبةً وتحدياتٍ كبيرة، فإنه في نهاية المطاف يريد أن يُصاغ كلامه في إطار النعمة .أن الله قد أنعم علينا بنعمته .لقد فعل الله كل هذه الأشياء من أجلنا في يسوع المسيح.

وهذه هي الخاتمة التي يريد أن يختم بها رسالته، وهي فكرة مفادها :أنتم الآن ترحلون في رحمة الله الذي معكم .فلنعد إذن إلى الصورة الكلية ونتأمل الفكرة الرئيسية لهذه الفقرة.

إنّ المشاركة في الإنجيل تُمكّننا من القيام برسالتنا وتُوحّدنا في نعمة الله .ونرى هذا في القسمين التاليين، وهما بمثابة تحليل للنص هنا.

أولها أن الشركة في الإنجيل تُمكّننا من القيام بالرسالة .إنها تمنحنا الرضا .إنها تُنسب الفضل إلى مجد الله ونعمته.

وهي وسيلة لإتمام عمله في هذا العالم .ثم يأتي القسم الأخير، حيث توحدنا زمالتهم في الإنجيل بنعمة الله .ويتجلى ذلك في دفء التحيات، ثم في التذكير بأن نعمة الرب يسوع المسيح ترافق أرواحنا.

إذن، لننتقل إلى التطبيق .ما الذي ينبغي أن نفكر فيه؟ ما الذي ينبغي أن نؤمن به؟ ما الذي ينبغي أن نرغب فيه؟ وما الذي ينبغي أن نفكر فيه أو نفهمه أولاً؟ لا يُوجد الرضا في الممتلكات أو الظروف .فنحن نميل بشدة إلى الاعتقاد بأن الرضا يأتي من اقتناء المزيد والمزيد من الأشياء.

ليس صحيحًا أن مجرد امتلاك منزل أفضل أو سيارة أفضل أو قضاء عطلة أفضل أو المزيد مما تستمتع به سيجلب لك الرضا .وهذا ليس ما يعلمه الكتاب المقدس .ثانيًا، آمن

علينا أن نؤمن بأن الله قادر على منحنا الرضا في جميع الظروف .من الطبيعي أن نشعر ببعض عدم الرضا، خاصةً عندما نكون في حاجة أو فقر .ولا أقصد التقليل من شأن الصعوبات التي تصاحب الحاجة.

هذه أمور حقيقية للغاية .هذه أمور مشروعة تماماً .ومع ذلك، يقدم بولس وعداً مفاده أن هناك سراً كتابياً لتعلم العيش في الوفرة والفقر على حد سواء.

وأنّ ذلك يكمن في الثقة بالمسيح باعتباره من يقوينا ويكفينا .الرغبة .أعتقد أنه ينبغي أن نثق بأن الله سيلبي جميع احتياجاتنا.

والآن، مرة أخرى، علينا أن نكون حذرين للغاية في كيفية تحديد معنى كلمة "حاجة ."كما تعلمون، في سياقنا الحالي، غالباً ما نعتقد أننا سنقول أشياء مثل" :أوه، أنا حقاً بحاجة إلى ذلك الهاتف المحمول الجديد الذي صدر للتو ."حسناً، هل أنت بحاجة إليه فعلاً، أم أنك ترغب فيه فقط؟ قد تكون في الواقع بحاجة إليه.

ربما يكون جهازك السابق عمره عشر سنوات وبدأ يتعطل .لكن، كما تعلم، إذا كنت قد اشتريت الجهاز الذي صدر العام الماضي ، فهل أنت بحاجة فعلاً إلى هذا الجهاز الجديد، أم أنه مجرد شيء ترغب فيه؟ أخيرًا، افعل ذلك .هذا الأمر أقل وضوحًا من بعض الأمور الأخرى التي تناولناها.

لكن الفكرة الأساسية هي أن علينا أن نكون جادين في مقاومة إغراء الاعتقاد بأن سعادتنا تكمن في ممتلكاتنا أو ظروفنا. وبهذا نختتم دراستنا لرسالة بولس الرسول إلى أهل فيلبي :افرحوا بإنجيل يسوع المسيح .وأرجو أن يكون الرب قد باركم خلال دراستنا لرسالة فيلبي.

وهذا بمثابة نقطة انطلاق لدراستكم الشخصية، بالعودة إلى هذه الرسالة، وقراءتها، والتأمل فيها، والتفكير في الحقائق المجيدة التي نجدها هنا في رسالة فيلبي .ولذا، أرى أنه من المناسب أن نختتم كما اختُتمت رسالة فيلبي، بتذكيرنا في الآية 23 من الإصحاح 4، بأن نعمة الرب يسوع المسيح تكون مع أرواحكم.

هذا الدكتور ماثيو س .هارمون في درسه ضمن سلسلة دروس رسالة فيلبي :افرحوا بإنجيل يسوع المسيح .هذه هي الجلسة 13، كفاية الله لجميع احتياجاتنا .فيلبي 4 :10-23.